الياس أبو شبكة

الى الأبد



دار الحضارة

الياس أبو شبكه

إلى الأبد

برهان

دار الحضارة

الطبعـة الثانيـة
١٩٦٣



الشاعر بريشة مصطفى فرّوخ

برو حك مغمورةٌ يقظتي ونشوى بسحرِكَ أحلاميَه
وحُلمي بحبّكَ لا ينتهي وهل تنتهي الغفلةُ الواعيه؟

« نداء القلب »

صلاة

قوِّني يا مُقسِّمَ ٱلأَعْبَـاءِ وَأَعِنِّي عـلَى ٱحتِمال شقَائي
أَنا يا ربِّ في يَـدَيْك ، فصُنْهَا فاتِّكَالي عَلَيْـكَ كُلُّ عزائي
إن تكُن تَحْرُمُ ٱلعَزَاءَ ٱلمحِبِّين فَمَاذَا تَرَكْتَ للشُّعَرَاءِ ؟
رَبِّ صُنْهـا وأَبْقِهَـا ليَ ظِـلاًّ مِـن حَنَـانٍ يَمتَـدُّ في صَحْرَائي
وٱرفـعِ ٱلأَلسُنَ ٱلخَبيثَةَ عنْهَـا وٱلأَذى في ٱللَّوَاحِظِ ٱلسَّودَاءِ
أَنتَ يا ربِّ مـا خَلَقْتَ جَمَـالاً مِثْلَهَـا في ٱلمَلَائِك ٱلأَنقيَـاءِ
أَنتَ يا ربِّ مـا خَلَقْتَ وفـاءً كالذي قَاتَ حُبَّهَا ، في ٱلنِّسَاءِ

أَنت يا رَبِّ ما خَلَقْتَ نسَاءً   مِثْلَ ليْلى نَقِيَّةَ ٱلأَحشَاءِ

هِيَ يا ربِّ فِلذةٌ مِنْكَ في ٱلحُبِّ   جَرَتْ مِن دُموعك ٱلخَضْراء

أَفَتُمْسِي يَبْساً وَفيك ربيعٌ   دَائِمُ ٱلطِّيبِ طَيِّبُ ٱلأَنداء ؟

يا إِلٰهي ، قَرِّبْ إِليَّ ٱلبَعِيدينَ   وأَبْعِدْ عَنِّي أَذى أَقْربائي

رَبِّ حَوِّلْ عَيْنيَّ عَنْ كُلِّ حَيٍّ   رَبِّ سَكِّرْ سَمْعِي عن ٱلانبَاء

أَأَرى صورةً وأَسْمَعُ صَوْتاً   قَبْلَ أَن يَرجعَ ٱلحَبِيبُ النَائي !

الرسول

ذلكَ ٱلطَّيْرُ لِمْ عَراهُ ذهولُ　　لا حراكٌ لهُ ولا تَرْتيـــلُ

كان يُلْقِي شَيْئاً على مِسْمَعِ ٱلصُّبْح　　فماذا للصُّبْــحِ كان يَقُولُ ؟

ايُّهَا ٱلطَّيرُ ، في لحاظِكَ وهْـجٌ　　مـن حبِيبي وَحـيرَةٌ وذبولُ

كُنْتَ تنوي أَمراً فهَالك وجهِي　　أَتـُرى لي الى حبِيبي سبِيْـــل ؟

أَنا أَرضى بنَظْرةٍ منْهُ ، هل ينْشَقٌّ　　عنْهَا ستَارُهُ الْمَسْــدول ؟

يا رسولَ ٱلحبِيْبِ ، هـل لحِبيْبي　　بعْـد طول ٱلنَّوى سواكَ رسول

يا رَسولَ ٱلحبِيْب ، كَيْف حبِيبي　　أَصحِيحٌ ما يدَّعيـهِ ٱلعَـذُولُ ؟

يا رسـولَ الحبِيْب ، قـلْ لحبِيبي إنني مِثْـلُه سَـجِينٌ علِيلُ
عُـدْ إليْـهِ وقـل له إنَّ قلْبي مثْـلُ وجهِي وإنَّ لَيْلي طويلُ
ليْتَ ريشِي يطِير مثْلَك يا طَيْرُ ، وطَرفي يا لَيْتَـــهُ مجهُـولُ
فـاراهُ ولا عيُونـَ تراني ويراني ولا ينِمُّ دخيـــلُ
يا رسولَ ٱلحبِيْب، يا أَسعَدَ الخلْق تَمَّـلْ فانتَ منْـــهُ قلِيْـــلُ
فيك منـهُ أختِلَاجَـةٌ ، وعلَى ريشِك ظِلٌّ من مُقْلَتَيْهِ بَلِيلُ
وحنِينٌ علَى جنَاحيْكَ مقْبُوض ، ووجْـد مـن قلْبِـهِ مسْـلُول

يا رسول ٱلحبيب ، إذ يهبط الليلُ وتنحلُّ في ٱلهضاب ٱلكحولُ
ويَغيمُ الوادي ويشهق في الابعادِ رسمُ ٱلخمائلِ المحلولُ
وتنام ٱلعيونُ في دار ليلى غيرَ طرفٍ يُغبُّهُ منديلُ
قُلْ لليلى رأيتُهُ فهو باقٍ : نظرٌ حالمٌ وقلبٌ بتولُ
ذلك ٱلعهد ، قد يزول المحبّون على وجهها وليس يزولُ
خُتِمَت جِلدةُ ٱلعروق عليهِ فبِأزكى دمائنا مجبولُ
يا رسولَ ٱلحبيب ،لا ... لا تخبّرْهُ فيكفيهِ حزنُهُ ٱلموصولُ

لا تخبّرْه مــا رأيتَ وعلّــلْهُ   فقد يُذهِبُ ٱلأَسى ٱلتَّعْليلُ
قــلْ لهُ إنَّ حبَّــهُ في عروقي   شَبَّ منْــهُ لعُرسِنَا إكْليــلُ
قــل لهُ سوف يستَحِيْل ربيعاً   دائمــاً ذٰلك الهَوى ٱلمُسْتَحِيلُ
قل للَيْلى يا طيْرُ ، قــل لحِبيبي   سَوْفَ يأْتي جيْلٌ ويذهبُ جيلُ
وعلى حبِّنَا مــن الخُلد زهرٌ   وعلَيْهِ من روحــهِ تَقْبِيــلُ
قل للَيْلى رأَيتُهُ فهْو نشْوانُ   وفي مقْلَتَيْــهِ حُــلْمٌ جميلُ !

الحلم الجميل

غائب مصطفى

العام الأول

حينَ أَقبلْتِ والْهوى فيكِ يحْبُو كان حُبِّي يفْنَى وناريَ تخبُو
قُلْتِ لي بي أَسى فهَل منْكَ نُصْحٌ وبنَفْسِي داءٌ فهَل منْكَ طِبٌّ ؟
جئْتِ تستَوْصِفينَني في شُؤُونٍ ما بهَا لي يـــدٌ ولا لكِ ذَنْبُ
قُلْتِ إن كَان للشَّرائِع ربٌّ مُسْتَبِـــدٌّ أَليسَ لِلْقَلْب رَبُّ
قُلْتُ هذا بيني وبينَكِ حقٌّ إنَّمـا للْوَرَى فُرُوضٌ وكُتْبُ
أَلقوانين سَنَّهَا ٱلعقْلُ في ٱلنَّاسِ فبَيْنَ ٱلضَّمير والْعَقْل حَرْبُ
إن بين ٱلسَّمَاءِ والارض حرباً قُلْتِ حَتَّى يَصيرَ للنَّاسِ قلْبُ

ومضَت أَشهُرٌ وتلْكَ الاحاديثُ   يَـــدُبُّ الهَوى بِهَـا ويرُبُّ
قُلْتِ لي مرَّةً أَتَفْهَـــمُ قَلْبي   قلتُ يا سِتِّ..قلْتِ ليْلى أَحَبُّ

***

قُلْتُ يا ليــــلَ كم خَبِرتُ قلوباً   فَبِنَفْسِي من ذلك الخُبْرِ حَسْبُ
غَيْرَ أَنِّي أَرى بِعَيْنَيكِ ما لم   تَرَهُ مُقْـــلَةٌ ويلْمِسْهُ لبُّ
أَتكُونين ذٰلك المَلَكَ ٱلبَـــاقي   ولو جـــاءَ من جهَنَّمَ خَطْبُ
أَتكُونين فيـهِ ما لم تكُنْ أُنثَى   ومـا لم يكُنْ من ٱلنَّاس حُبُّ

فتأمَّلْتِ بي وقُلْتِ : وماضيكَ ألم تَبْـقَ منْـهُ نارٌ تُشَبُّ
«فأفاعي ٱلفِردَوْسِ» ما زلنَ حيَّاتٍ ومـا زال سُمُّهُنَّ يـدُبُّ
قلْتُ يا ليلَ...قلْتِ بعْدَ «الافاعي» جاءَ شِعْرٌ مُرَطَّبُ ٱلْحُبِّ عذْبُ :

✡✡✡

صاحِ في عَينَيكِ صدَّاحُ الاماني وعلى ثغْرِك حُبِّي وحنَـاني
مـا على الدنيَا اذَا غنَّت بنَا ليسَ في الدنيَا سِوانا شاعران
فاْعصُري قلْبَك في خَمْر دمي واْجعَلي الايام في الكأْس ثواني

وٱرشِفي مِرشَفي وٱهْتُفي نحْنُ في

أُذنِ ٱلزمـــانِ

أُغْنِيَّتَانِ

جَمَع الحبُّ بنَا كَلَّ الاغاني

٭٭٭

كَان في قلْبِي من الحبِّ بقَايا توقظ ٱلمْـاضِيَ وٱلمْـاضي خطَايا

حِين أَشرفتِ علَى قلْبِي ٱمّحَتْ غَسلَت روحكِ بؤسي وشقَايا

ونما حُبٌّ جـــديدٌ في دمي ما نما ، يا أُختَ روحي ، في سوايا
ما ٱرتوى بي جوى وٱلهوى ما روى
الا هوايـا
فإذا غنَّيتُ شعَّت في غِنَايا

✡✡✡

جُنَّتِ الدنيـا كَمَا نَهْوى فجُنِّي إِنما الدنيَا هوىً مِنْكِ ومِنِّي
أَنزلت عينَـــاكِ في صحْرائِهَا مـن سمَاءِ الحبِّ سلْوَاي ومَنِّي

هي كَنَّارةُ فتْـــحٍ في يـدي   طار عن اوتارِهَا ٱلشَّك فغَنّي

فالغِنَـا   خَمرُنا   والمـُنَى   مِلْؤنا

سوْفَ نَغْدُو في الْوَرَى أُسْطُورَةً   يَنْقُل ٱلنَّاس الهَوَى عنْكِ وعَنّي

***

إنَّ أُنثَى غَنَّيتَهَا مِثْلَ هذا الشّعرِ نِسْيَانُهَا ــ ولو شِئْتَ ــ صَعْبُ

مَن تُراها تكُون ، أيَّة ارضٍ   كَانَ فيهَا زرعٌ كَهٰذا وَخصْبُ :

* * *

رأيتُكِ في قلْبي فحُلْمِي مُنوَّرُ وصُبحِي مِشْراقٌ وليْليَ مُقْمِرُ
ترَكْتُ اباطيلَ التَّقاليد للورى فإن كُنْتُ في إثمٍ فعَيْناكِ مَطْهَرُ
أُحبُّكِ ... لا ادري لماذا أُحبُّها كَفَـــانيَ ايمـــاني بأنِّيَ أَشْعُرُ
واهوى الذي تَهْوَيْنَ حتَّى كأنني بقَلْبِكِ أَستَهْدي وعيْنَيْكِ أَنظُرُ
أُحبُّكِ في قلْبي كَمَا ثارَ جائِـــعٌ وهجَّرَ مُشْتَاقٌ وصلَّى مُكَفِّرُ
وحقِّ هوى «غلْوا» أُحسُّكِ في دمي وأُقسِم مـا في غلْوَ حبٌّ مـدمَّرُ
جَرت في دمي وحْياً وتجْرين في دمي ولٰكِنَّ لوْنَ الحبِّ قـدْ يتغيَّرَ

أُحبُّكِ ، والدنيا سحَابٌ مغرِّرٌ ، سَراب وقبض الريح ، حُلم مُكَسَّرُ

جَعلْنَا خيال الحبِّ فيهَا حقِيقةً فنَحن على وهْم المُحِبِّين جوهر

أُحبُّكِ ، والدنيا تَغيم بنَاظري غِشَاءٌ على عيْن آلشَّبَابِ مُحبَّر

أَرى النَّاس من حولي شخُوصاً غريبَة وكُلُّ غريبٍ حين تأْتين يحْضُر

أُحبُّكِ ، والدنيا طنين بمسْمَعِي كَأَنِّيَ بالدُّنيَا حديثٌ مُغَوَّر

تُهوِّل لي فيهَا طيُوفٌ كَبيرةٌ وكُلُّ كَبِير حين أَلقَاك يصْغُر

أُحبُّكِ ... ما أَشهَى صداها بمسْمَعِي سمَاعٌ لأَحلَامي العِذاب مصَوَّر

تَغَلْغَل في مهْدي لأُميَ من ابي　　وباقٍ علـى قلْبِي الى حـين أُقبر

***

من تُراها تـكُون ؟ طوبى لحبٍّ　　كان فيهِ لمثْل شِعْرِكَ سـكْبُ
أَيٌّ حسْن اوحـاه ؟ أَيَةُ أُنثَى ؟　　بي عذابٌ منْهَا كَشعْرِكَ رحبُ :

***

تقَرّبني نفْسِي فتُبعِـدني «غـلْوا »　　ويدفعُني حبِّي فتَردعنى التَّقْوى
أُغالب قلْبِي في هواكـ فلَا يَنِي　　وأُوشك ان اقسُو علَيْهِ فلَا اقوى

وأَشعُر في نفْسِي بضَعْفٍ أُحبُّـهُ   فأُلوي بـه عمَّا يقَال ومـا يُروى

كَأَنِيَ أَخشَى ان أُطاوعَ لائمي   فأَسمَع تبْكِيتاً ولا أَفهَم الفَحْوى

أُحبُّـكِ لا أَرجو نعِيماً يصيبُني   وأَبذل من قلْبِي ولا أَبتَغِي جدوى

وقد كُنْت اهوى فيك حسْناً اناله   فأَصبَحْتُ أَهوى فيك فوق الذي اهوى

اراك على جفْني ، أُحسُّك في دمي   وانشَق في روحي شذا روحك الحُلْوا

مَزَجْتُكِ بي كالخمْر تُمزَج بالنَّدى   فمنْكِ بجِسْمِي كُلُّ جارحة نشْوى

***

غَيْر أَني أرى بسَائِر ما قلْتَ هوىً فيـــهِ للشّقَاءِ مهبُّ :

***

أَلغَرام الذي أَطَـــال شجُوني حار قلْبي بهِ وحارت عيوني
لا أُطيقُ ٱلغَرام في ألف وجْهٍ فٱذهبي ، ما عَرَفْتُهُ يَكفِيني
وٱطْرَحيني من مُقْلَتَيْكِ وخَلِّيني ... تَعالَيْ ، في مُقلَتيْكِ ضعِيني
انَا في مقلَتَيْكِ أَسعَدُ ... أَشقَى فِيهِمَا ، فٱذهبي ولا تشْقِيني
أَنَا اهْوى ٱلشّقَاءَ ... لا ، لسْت أَهواهُ ، تعَالَيْ إليَّ ... لا ، بل دَعيني

مَنْ تكُونينَ أَنْتِ ؟ أَجْهَلُ... بل أعرف ، فامضِي عنّي ، ومَن شئْت كُوني

***

أَنْتِ حبٌّ في مُهجَتي فتعَالَيْ   أَنتِ هزءٌ في ناظِري فاتْركِيني

انْتِ نورٌ في خاطِري ، وظَلامٌ   في خَيالي ، وريبَةٌ في جَبيني

وسُويْداءُ في دمي   وهُمومٌ علَى فَمي

أَنتِ عرس في مأتمي   بسمَةٌ في جهَنَّمِي

وجَحِيمٌ في مَبْسِمِي

آهِ عَيْنَاكِ !... كَيْفَ أُنْكِرُ عيْنَيكِ وقلْبي عَلَيْهِمَا وفتُوني ؟
حِين تغْرَوْرِقان بالحُبِّ يطْفُو مِن حَنَاني عَلَيْهِمَا وحنِيني
أَنْتِ في خاطِري وروحي نشِيدٌ زائِلٌ فاْهدِميهِ او فاْهدمِيني
ودَعينِي أَعُدْ الى يقْظَةِ الْمَاضي فأَحيَا في ذكْريات جنُوني

***

آهِ ! من مُقْلَتَيْكِ لم يبْقَ إلا وَهَـجٌ في يراعتي يُغْرينِي
غَرَقٌ في شواعري وذهولٌ في ضمِيري ورِعْشَـةٌ في جفُوني

قُلْتُ يا ليْلَ ... قلْت شِعْرُكَ فيهَا   حَيَّرْتِني فيــــهِ مـآسٍ تُغِبُّ
أَرجيمٌ أَتى بوجْـــهِ مـلاكٍ   أَم غزالٌ في قلْبِهِ حلَّ ذئْبُ !

***

مرَّ علَى قلْبيَ المُعَنَّى   مرَّ عَصُوفٍ علَى أَخيهْ
أَيَعْرفُ ٱلقَلْبُ كَيْف جُنَّا   وكَيْف جُنَّ ٱلغَرام فيهْ
دَعنِي فقَد صار نحْنُ كُنَّا   وحلَّ ما كُنْتُ أَتَّقِيهْ
هَوىً تسَرَّى قلْبي وحلَّا   علَى خطِيفْ

جاءَ معَ ٱلصَّيْف ثمَّ ولّى مَعَ الخريفْ
كَمَا يَجيءُ الهوى عنِيفاً يمضِي عنِيفْ

***

وليمَـةٌ مـــدَّها ٱلغَرامُ وسادَهَا الزَّهْوُ والْمَـرَحْ
مـا كادَ يصْفُو بهَـا المُـدامُ حتَّى بدا ٱلشَّكُّ في ٱلقَدَحْ
ومُذْ جَـــلَا عنِّيَ ٱلغَمَامُ رأَيْتُ في قَعْرِهِ شَبَـحْ
سَكَبْتُ فيـكِ الهَوى أَغاني والقَلْبَ راحْ

فأيُّ شادٍ علَى حَنَـاني سَطَا وطاحْ
وأيُّ مِسْخٍ أَحال شِعْري الى نُبَاحْ

***

حلَفْتُ باسم الهوى وباسمِكْ فباسم مَن كُنْتِ تحْلِفِينْ
وحقِّ قلْبي ، وحقِّ سَهْمِكْ أَخشَى علَى الخُبْثِ أن يبِينْ
أن يأْكُلَ البؤسُ خُبْزَ جِسْمِكْ وتُبْذَلَ النَّفْسُ والجَبِينْ
أَيَحْجُبُ الخامِلُون عنِّي ما تبدِعين

لقَّنْتُ في مقْلَتَيْـكِ فنِّي للعَـاشـقِينْ
وأنتِ عِشْـقي ، فـلِمْ أغنّي وتصْمُتِين؟

***

قُلْتُ يا ليْـلَ ان حُكْمَكِ ظالِمْ فـاْرحَمِيهَـا فالْحُبُّ كاللهِ راحِمْ
لم تَجِئْني بـدون قلْبٍ بَرِيءٍ إنَّمـا ألسُنُ الوشـاةِ أراقم
قُلْتِ في مُقْلَتَيْكَ منْهَـا خَيَـالٌ فهَواهـا مـا مـاتَ بـل هو نائِمْ
ليْتَني جِئْتُ قبْلَهَـا ! ــ قلْتُ لو جِئْتِ لأَلفَيْتِ في ترابي جماجم

كَـان قلْبي يا ليْـلَ يـدفنُ ماضيـه فـلَم تبْتَلي بتِلْك المآتم
كَان روحي ، إذ أَقبَلَت ، يتَنَزَّى ٱلحقْـد فيـهِ وكان حُبيَ ناقم
فالافـاعي لم تُبقِ الا سُمُومـاً في جَنَـاني وفي ضمِيري سـمَائم
كَان في صَوتِهَـا ذَرُورٌ من ٱلسِّحْرِ وهـذا الذَّرورُ كَان مراهِم
فتَـلَاشى حُلْقُومُهَـا في لظَى نفْسِي يـلَاشي فحِيـحَ تلْكَ الحلَاقِم
حُبُّهَـا كَـان مطْهَراً لعَـذابي قُمتُ منْـهُ الى نعِيـمٍ قـائِم
فعَـلَى مُقْلَتَيْـكِ سـحْرٌ غريبٌ فيـهِ مـن بهْجَـة السَّمَاءِ مبَـاسم

ونقَاءٌ على جبينِكِ يا ليْـــلى كأنَّ المَلاكَ ما زال حــائِم
لي الى اللهِ في حَنَـــانِكِ مِرْقـاةٌ وفي صوتِكِ الشَّجيِّ سلاَم
أَنا يا ليـلَ أَسعَدُ النَّاس حبَّـاً مِلءُ عيني نورٌ وقلْبي ولاَئم
سَوْفَ تُمحَى رُؤًى وتنهَـارُ أَحـلاَمٌ وتَبْلى مُنىً وحُبيَ دائم !

العَامُ الثَّانِي

١

نامَ الا الهوى ، فأَهلُكِ ناموا وعلَى ٱلليلِ من هوانا ٱحتِشَامُ
جئْتِني تَنْضحِينَ حبّاً كَمَا ينْضَحُ نوراً من ٱلقُمَيْرِ ٱلغَمَامُ
وٱلطُّمَأْنينَةُ ٱلتي بأَهلِكِ أَغفَتْ ثَمَّ عنْهَا في عينِكِ ٱسْتِسْلَامُ
أَي بأْسٍ علَيكِ والأَمَةُ ٱلشَّيخَةُ عَيْنٌ ومِسمَعٌ وكَلَامُ ؟
انَّهَا من ذَويكِ خيْرُ ضمَانٍ ما عسَى أَن يقُول واشٍ حرامُ ؟
فاسهَري ، فالعَجُوز نامت على المِسْنَدِ سهْرانةً ... علَيهَا ٱلسَّلَامُ !

قُلْتِ : مِسْكِينَـةٌ !... وأَشرَقَ في عَينَيكِ عطْفٌ وفي لمَـاكِ عُجَـام
ولو أنَّ الحُنُـوَّ يُعْطَى لغَطَّاهـا لحـافٌ مـــن قطْنِـهِ وحِرامُ
كُنْتِ مـلأى مـن السَّعَـادةِ حتَّى خِلْتِ أَنْ ليس في الورى آلامُ
كُنْتِ مـلأًى منْهَـا، بوَدِّكِ لو يُعْطى شرابٌ مـن فَيضِهَا وطَعَـامُ
تتَمَنَّيـنَ لو تفِيـضُ عـلى ٱلنَّاسِ فـلَا حـاسِدٌ ولا نمَّـــامُ
تتَمَنَّـين لو تفِيـضُ علَى ٱلموتـى فتَحْيـا أَو تسْـتَريـحَ ٱلعِظَـامُ
ومَضَت هجعَـةٌ من اللَّيْـل عَجْـلى كان عهْـدٌ لنَـا بهَـا وذمـــامُ

قُلْتِ غرِّقْ عينَيكَ فيَّ فغرَّقتُ ، وعينٌ جوعٌ وعينٌ أُوامُ
قُلْتِ ماذا ترى وكُلّي سوادٌ ؟ فالقُمَيْرُ ٱمّحى وشدَّ ٱلظَّلَامُ
قُلْتُ ما لا تراهُ عينٌ ولم تُعْرَفْ بهِ أَو بمِثْلهِ أَنغَامُ
أَنا يا ليْلَ مؤمنٌ بكِ ، لكِنْ هل تُصَافي وتعْدِل الأَيامُ ؟
قُلْتِ أَدركْتُ ما تُريدُ ففي بيْتي هشِيمٌ وَحوْلَ بيْتي ضِرامُ
آهِ لو تنْطِقُ ٱلسَّمَا وتعِي ٱلأَرضُ … وقد قيلَ دون ذاكَ الحِمَامُ
ولو ٱنَّ ٱلقُلوبَ تَطْهَر وٱلآذانَ تنْقَى لصَحَّتِ الأَفهَامُ

أَيُّ عقلٍ لهُ علـى ٱلقَلْبِ حقٌّ أَعلى ٱلحِسِّ تَحْكُمُ الارقامُ ؟
أَلهُمْ سُنَّةٌ ؟ فـلي رحمةُ الله ولي نورهُ ، ليَ الإِلهامُ
أَنا قلْبٌ يُعْطِي وهم جسَـدٌ يُعْطَى ، لَهم شَهْوةٌ ولي أَحلَامُ
والذي قلْتِـهِ ، ومـا لفَظَتْهُ شفَـةٌ مـن دمٍ أمورٌ جِسَامُ
وحَمَلْتِ ٱلعَجُوزَ وٱلليـلُ كَهْلٌ وعَليهِ مـن ٱلنُّجُوم رِمـامُ
وعَلَى ٱلشُّرفـةِ الكَئيبَـةِ ظلَّتْ تتروَّى حـديثَنَا الأَنسَـامُ

٢

أَيكُون الهوى نــــدىً وملَابا   وثِمــاراً ، جَنَى الهنَاء ، رِطابا ؟
أَيكُون الهوى : أعصُرِ الصُّبْــحَ والليــلَ شراباً   وأترِع الأَكْوابا
وأرفــعِ الأَلْسنَ الرديئَةَ عنّا   وليَكُن عيشُنَا نفُوســاً طِرابا
والزمــــانُ الرَّجيمُ دارَ نعِيمٍ   لسِوانا لا تفْتَــــح الابوابا ؟
أَيكُون الهوى : أقطُفِ الشَّهدَ ، ما أَصفَى اللَيالي وما أَلذَّ اللُّعَابا
ألرَّبيعُ الطَّوَّافُ يزرعُ نوراً   وظِلالاً خُلْجَانَـــهُ والهضَابا

ولنَا يَقْلِبُ ٱلسَّمَاءَ فراشـــاً وبنَا يمـــلَأُ ٱلسَّماءَ شبَابا ؟
أيكُون الهوى : لنَا حُـــلُمُ الجَنَّـــةِ فلْيَنفَرطْ بنَـــا أطيَابا
وليَكُنْ يقْظَةً تسِيل مدى الدَّهر فتُزكِي فينَـــا الحَصَى والتُرابا
تفْجُرُ الكَوْثرَ المؤبَّـــد فينَا وتُصَفِّي لنَـــا الخلودَ شرابا ؟
ألهوى : لا تَخَفْ صُروفَ الليالي وٱنظُرِ ٱلبَرْقَ كَيف يُدمي ٱلسَّحَابا
ورياحٌ عواصف تقْحَمُ ٱلدَّوحَ ، تهزُّ الجـــذورَ والاعصَابا
نَهَرٌ هائِـجٌ فـــلَا تتَهَيَّبْ هَوْلَ امواجـهِ وشـقَّ العُبَـابا

والهوى : أَصغِ ، في الرياض الى البُلبُل وٱحذرْ فإنَّ فيهَا غُرابا
وعلى ٱلنَّبْع دُلبَــةٌ تجْذِبُ الطَّيْر اليهَـا والفَــأْسَ والحطَّـابا
وعَزيفٌ للجِنِّ يُجري عـلى قلْبِ المعَنَّى الإطـرابَ والإرهــابا
والهوى : مرتـعُ النَّعِيم فــذلِّلْ سُبُـلَ الفَتْـحِ وٱملِكِ الأَسبَابا
دونَــكَ الْمَـهْمَهُ الكَؤودُ فلَن تبْلُغَ إلا اذا بلَغْتَ العَــذابا
فٱقتَحَمْتَ السُّيُولَ سيْلاً فسَيْلاً وعَبَرْتَ الغَابـاتِ غاباً فغَابـا
وهزمتَ النَّسْنَاسَ والضَّبُــعَ ٱلخزْراءَ فيهَــا والارقمَ النَّشَّابا

قُلْتِ ما زال في خَيالكَ نزرٌ من صباغٍ على «أفاعيكَ» ذابا
فامحُـــهُ واغتَسِلْ كأنَّكَ لم يعْرفك مـــاضٍ ولم تغَنِّ كتَابا
نحْنُ بدءُ الحَياةِ ، قبْلَ حلول الحبِّ فينَا كان الوجود ضبَابا
غَنِّني ! غنِّني ! تعَالَ الى الغَابـــةِ نغْنمْ مـــن الصُّخُورِ حِجَابا
فهُنَا الأعيُـــن المَريضَة تؤذينَا فتَبْني من الشُّكُوكِ قبَـــابا

***

هـذه صخْرةٌ تقِينَا لظى الشَّمْسِ ومن غَـــدرةِ العيُون الحِرابا

فطَريقُ ٱلوادي بَعيدٌ فلا نَخْشى ذهاباً مِنْ عابِرٍ أو إيابا
فلْنُقَطِّعْ من تحتِها ٱلشَّوكَ ، ولْنَرمِ الحَصَى ، ولْنُمَهِّدْ ٱلاعشابا
ولتَكُنْ خيْمَةً لنَا تُكْرَم ٱلأَحلامُ فيهَا ، وللهوى مِحرابا
تعَبٌ كُلُّها ٱلحياةُ ...
بل ٱلحبُّ ، ولكِن كم جَمَّلَ الاتعابا
أطلَعَ ٱلشَّوكُ في يديكِ دموعاً فاجعَليهَا على لسَاني عتابا
قلْتِ خُذها نقيَّةَ ٱلعِرقِ ، من حبِّي شِفاهاً ومن حَناني رُضابا

فأخـذتُ السمَ ٱلنَّقِيَّ وفي قلبي عُروقٌ تودُّ أن تنسَابـا
والرَّوابي ـ أتذكُرين ؟ ـ كَأَن ٱلشَّمْسَ لَجَّت بِها فصَارت سَرابا

***

قلتِ دعني أنـلْ كَمَا نلْتَ مني قَطَراتٍ من ٱلعُروقِ عِـذابا
ولتَكُن بيننَا مـن الحبِّ ميثـاقاً يكُون الوفـا له آدابا
ولبِثْنـا في نِغمَـةِ ٱلحبِّ لا نسْمَـع الا خَيـالهُ المنْسَابا
تتراءى لنَا ٱلصُّخُور خيـاماً والطُّيُور ٱلتي بهـا أحبَـابا

كُلَّمَا فرَّ طـائِرٌ حَمَـلَ الوادي الينَا مـن حبِّـهِ اسرابا
والمَسَا ينشُر الظِّلالَ على الدنيـا ويُلقِي عـلى النُّفُوس النّوابا

٣

قُصَّ لي سيرةَ الذين أحبُّوا قبلَنا ، أنت أحسَنُ ٱلنَّاسِ ظنَّا

أَسنِدي رأسكِ الجميلَ الى صدري وأصغي أُسمِعْكِ ما ليس يفنَى

أوّلُ ٱلعاشقين ، يا ليْلَ ، قيسٌ ليسَ في الحبِّ قبْلَ قيس معَنَّى

تيَّمَتْهُ ، يا ليْلَ ، ليْلى ولمَّا زُوِّجت مَن سواه هام وجُنَّا

وأحبُّ العُشَّاقِ مَن هام ، يا ليْلى ، بلَيْلى وكان ما نحنُ صِرنا

وجميلُ بنُ مَعْمَرٍ ، أتمنَّى لو ترَوَّيتِ كَيْف كَرَّم بُثْنَا

زادَهُ حبُّـــهُ عفَافاً ونبْـــلاً   كُلَّمَـــا عَضَّـهُ ٱمرؤٌ وتجنَّى

شِعرُه ، لو عرفتِ كَيْف يفُوح ٱلصِّدقُ منْــــهُ لقُلْتِ ذلكَ منَّا

أَكْرَمُ العاشقِين عيْنـاً وقلْبـاً   أَطرب الشَّـاعرين مبْنىً ومعْنَى

ومِـــنَ ٱلحُبِّ عُروةُ بنُ حِزامٍ   نالَ في ٱلموت شطْرَهُ وٱطْمَــأَنَّا

مـاتَ في عَفْرَ ثم مـاتت بــهِ عفْرا ، كِلَا ٱلعَاشقَيْن مــا يتَمَنَّى

هيَ أُسطُورَةٌ من ٱلشِّعْر قالوا   وهي أَسْمَى حقَــايق الحب قلْنَا

ولو أنَّ ٱلقُلوبَ لم تَفْـنَ في ٱلحبِّ لمـــا أَورقَ ٱلجمَالُ وغنَّى

ليْلَ ، ما أَنزَلتْ كَروحِكِ كَفُّ ٱللهِ روحاً ولا كَحُسْنِكِ حسْنا
والحَنانُ ٱلذي يُخَدِّرُ عيْنَيْكِ ، أَفي الأَرض للسَّمَا منْهُ أدنى ؟
كُنْتِ في ٱلنَّاس كالنِّساءِ فلَمَّـــا جئتِ قلْبي ظهَرتِ شِعراً ولحنَا
وزرَعتِ الآمَــالَ فيَّ نجوماً أيُّ كَنْز أَحبَّ منْهَــا وأَغنَى ؟
نحْنُ يا ليْــلَ أَسعَدُ ٱلنَّاس فلْنَغْفِرْ لهم كُلَّ مـــا يقُولون عنَّا !

٤

كُلُّ حيٍّ يموت الا هَـــوانا أَعلى الأَرضِ مـــن يُحِبُّ سوانا ؟
نَحْنُ وَٱلنَّاسُ ، نملأ ٱلأَرضَ حُبّاً وهُمُ يمــلأونَهَـــا نـــيرانا
يا حبِيبي ، غَرِّقْ جبِينَكَ في صـــدري فلولاكَ مـــا مُلِئْتُ حَنَانا
لم يكُن لي سوى حُنُوِّكَ حتَّى قبْلَ أَن يَفرُضَ الهوى لُقْيانا
كُنْتَ في وَحْـــدَتي خَيالاً على قلْبي فكَم مرَّةٍ بدا مـــلآنا
وعلى مقْلَتَيَّ حُلْماً لذيـــذاً حاملاً مـــن سمَائِهِ أَلحانا

كم سمِعْتُ ٱلفَضَاءَ يخْفِقُ حولي   أتُرى كان يلتَقِي طيفَانا ؟
كُنْتَ بي قبْلَ أن أراكَ بعَيْني   فدمي كان يرتوي أحيانا
يا حبِيبي ، إليْكَ حُلماً يوَدُّ ٱلطَّرْفُ لو يرتمي بهِ يقْظَانا
كُنْتُ في هالةٍ من النُّورِ لا يَحْصُرُ ذهنٌ مكَانَهَا والزَّمانا
وترَدَّتْ من الجَنُوبِ رياحٌ   زحفَ العِطْرُ خلْفَهَا وَلْهَانا
وإذا النُّور يسْتَحِيلُ أديماً   ثم يحْيا فيَسْتَحِيل جِنَانا
واذا بي اراكَ تقْطُفُ كَالفَاتح من كُلِّ مَغْرِس رَيعَانا

يَنْبِضُ الغُصْنُ في يديكَ رجاءً وُيَنَدِّي عليْهِمَا إيمانا
قُلْتَ يا ليْلَ ما علَيْنَا اذا ٱلنَّاسُ تجَنَّوا فالحبُّ قد أَعطَانا
وفرَشْتَ الجَنَى الشَّهِيَّ طعَاماً أَمرَ الحبُّ أَن يكُونَ فكَانا
قُلْتَ لي نعْمَةُ ٱلطَّبيعةِ يا ليْلى أَعـــدَّت لعُرسِنَا مِهْرَجانا
بورِكَ ٱلحبُّ حــين باركَ إِكْلِيلًا علَيْنَـا ، أَحلَّهُ قلْبَـانا
واذا بالنَّبَـاتِ يستَنْشِقُ ٱلحبَّ فتَجري جمُوعُـهُ مجرانا
فتَبُوحُ ٱلصَّبَا ويرتعِشُ ٱلوردُ ويصْحُو من ٱلنَّدى سكْرانا

وَعبيرُ النِّسْرينِ ينْهَلُّ حُبّاً في العَبيرِ المنْشُورِ من نجْوانا

***

يا حبيبي ، كَأَنَّ طرفيَ لمَّا ذهبَ الحلْمُ لم يكُنْ وَسْنَانا

أَوَلسْنَا في يقْظَةٍ تخْطُفُ ٱلغِبْطَةُ فيها ٱلقلوبَ والأَجفَانا ؟

أَوَلَمْ نبْنِ بالْمَحَبَّة والرَّأْفةِ دُنيا أَعزَّ من دُنيانا

تهْدُمُ ٱلعالَمَ ٱلذي يهْدمُ الوِجدانَ فينَا ، وترفعُ الوجدانا ؟

هذه ٱلنَّبْعَةُ ٱلحنُونُ أَلمْ تعْكِسْ علَيْنَا ٱلظِّلَال والأَلوانا

تُفْعِمِ ٱلنَّفْسَ من نقَاها ينابيعَ وتملأُ أعماقهَا خُلْجَانا ؟
أَسعَدُ ٱلنَّاس نَحْنُ فلْيَصْفَحِ الحبُّ بنا وليَكُنْ لهم غفْرانا !

العَامُ الثَّالِثُ

١

نَحْنُ عَـدْنٌ وهم مكَانٌ مُريبُ شَقِيَتْ فيـــهِ أعـيُنٌ وقلوبُ
سَكَبَ ٱلحبُّ رحْمَـةَ ٱللهِ فينَا فٱلسَّنَى مائِــجٌ بنَـا والطُّيوبُ
كُلُّ أعراقِنـــا ٱلسَّعِيـدةِ للإِيمـــانِ مَجرى وللرَّجاءِ دُروبُ
تتَنَاهى بنَـــا الى ٱلغِبْطَــةِ الكُبرى فنَفنَى بسِحْرِها ونــذوب

***

أَنتِ ، يا ليْلَ ، أنتِ أَجملُ رؤيا صبَّهَا في ٱلعُيونِ حُـلْمٌ عجِيبُ

ما رأى ٱلنَّاسُ منْذ حوَّاءَ حسْناً فيهِ هذا النَّدى وهذا ٱللهيبُ
أَيُّ لونٍ! كَأَنَّهُ ٱلصُّبحُ فيــه من بقَايا ٱلفَجر ٱلعَميقِ شُحُوبُ
أَغرَقَتْــهُ عينَاكِ في مُبهَمَاتٍ هيَ من روحِكِ الخَيالُ ٱلغَريبُ
حين تطْفُو علَيْــهِ أَخيلَةُ الأَهداب يخْبُو بياضُــهُ ٱلمَشْبُوبُ
أَعلى وجنَتَيْكِ، يا ليْــلَ، خمْرٌ أَلهبَت فيهِمَا النَّدى، أَم حليبُ؟
أَم على وجنَتَيْكِ ظِـلٌّ الخطَايا من بغْيٍ أَتى إِليْــكِ يتُوبُ؟
حسنُكِ ٱلحسْنُ... وهو للخَلْق إحسَانٌ جميـلٌ ومـا تبَقَّى ذُنُوبُ

قُلْتِ قُلْ بعْدُ، وٱبتَسَمْتِ، فشعَّتْ   في كِيـاني مجاهـــلٌ وشُعُوبُ
وجرت في دمي ينابيـــعُ لم يحْيَ على مثْلِهَـا صعِيدٌ خصِيبُ
ومـن ٱلطَّيْرِ جوقةٌ في ضمِيري   غرَّدَت فهْو بي وُجودٌ طَروبُ
كُلُّ ما بي زها وغنَّى ، ولكِنْ   في لسَاني ترَدَّدَ ٱلعنْـدَليبُ
قلْتِ في صمْتِكَ الجمِيلِ حديثٌ   ما روى مثْـــلَه فمٌ موهوبُ
فبروحي سمِعْتُ ما لم تقُـــلهُ   إنَّهُ في جَوارحي مكْتُوبُ
ثمَّ قبَّلْتِ في يديكِ غُصَيْناً   فسَرى فيهِ قلْبُكِ الْمَسْكُوبُ

وبشَعْري عقَـــدتِه ، وعلى عيْني طبَعْتِ ٱبتِسَامـةً لا تغِيبُ
قلْتُ ماذا ؟ فقُلْتِ إكْلِيلُ حبٍّ هكَـذا يُكـْرِمُ الحبِيبَ الحبِيبُ
سوف تَذوي ٱلتِّيجَانُ يا ليْلَ ، وٱلسُّلْطَانُ يذوي جبِينُهُ ٱلْمَعْصُوبُ
والاكاليلُ سوف تذوي وتَبْـلى ويشِيب الغَـار الذي لا يشِيبُ
وعـــلى مفْرقي وقلْبي سيَبْقَى غُصْنُكِ الرَّطبُ وهو حيٌّ رطيبُ

٢

ــ ... ثمَّ ماذا ؟

ــ أَحبَّهَا وأَحبَّتهُ ومـــاتا علـى هـوىً وتـــلاقِ

لم تخُنْ فيـــهِ بَعْلَهَا فَتريسْتَانُ وإيزولتُ أَشرفُ ٱلعُشّـــاقِ

سُقِيا خمرةَ الرُّقى ، وخـــلودُ الحبِّ في ذلك ٱلشّرابِ الرّاقي

عصَر السِّحْرُ روحـــهُ ، كُلُّ من يشْربُ منْـهُ يهوى الى الأَرمـاقِ

ودرى بعْلُهَـا ، ولم يكُ يـدري أيّ خمْرٍ تجـــول في الأَعراقِ

واذا بالوشــاةِ كَالسُّمِّ ينْدَسّون مـن قُزمـةٍ ومـن عمْــلَاقِ
فرمى بعْلُهَا بهَا في قطِيــعٍ أَبرصٍ مـن عبِيـدهِ لتُـلَاقي ...
غيْر أَنَّ الحبِيبَ أَنقَــذها منْـهُ وفرّا الى مكَــانٍ واقِ
وهما في أَلذِّ عيشٍ أَتى القُزمــةُ « أُغرين » ، صائنُ الاخلَاق...
قــال رُدَّ الذي سرقتَ فما لم يُرتَجَــعْ لا خلَاصَ للسرَّاق
فاجــاب الحبِيبُ انَّ ضمِيري مُطْمَئِنٌّ صافٍ كَهٰذي السَّواقي
أَنتَ لم تــدرِ أَيَّ خمْرٍ شربنَـا أَيَّ كَأْسٍ مـن السَّمَاءِ دُهـاق

هو أَلقَى بِهَـــا الى دَركِ الـــبُرصِ فأَنهَضْتُهَــا الى آفـــاقي
إنَّ ايزولتَ لي !...

وغـــاب الحبِيبَان وراءَ الصُّخُورِ والاوراق
ـــ ثمَّ ماذا ؟

ـــ ماتا ! وإِذْ شوهدا في الغَابِ مَيْتَين في أَعفِّ عناق
دُفنا ، كُلّ عـاشقٍ في ضريـــحٍ انمــا الْمَوتُ لم يكُنْ لفِراق
فرأَى النَّاس في الصَّبَاح عـــلى القَبْرَين قوســـاً تمَتَـدُّ في إِشراقِ

تَجْمَعُ ٱلعَاشِقَين في غمْرةِ الزَّهْرِ وفي نَشْوَةٍ مـــن الأَشْـواقِ

***

تلْكَ ، يا ليْـلَ ، قِصَّـةُ الحبِّ والْمَوتِ أَتتْنَـا مـن ٱلعُصُور ٱلعِتَـاقِ
ويراهـــا أُسطُورةً كُلُّ قلْبٍ لم تُحَرِّكْـــهُ خمْرُ ذاكَ ٱلسَّاقي
كُـلُّ قلْبٍ لا يشْـربُ الدَّمَ في الحبِّ ولا يرتوي مـن ٱلأَعمـاقِ
قلْتِ هـــذا ٱلطِّلى عصَرناهُ منّا وشربنَـا رُقــاهُ في الميثَـاقِ
فالجمَال الذي يسِيـــل علينَا ما طفَـا مثْله عـلى أَحـــداق

كُلُّ ما حولنَا جميـــلُ   غنّني تُخصِبِ ٱلحقُـــولُ
يـدْفقِ ٱلنُّور والسُّيُول

***

أَلسَّمَا مُصْحَفٌ ســـني   والرُّبى مُتْحَفٌ غـــنيُّ
والْمَسَـا وٱلنَّسِيم عِـرقٌ   جـال فيــهِ هـوىً نقِيُّ
وٱلغُصُونُ التي تميـــلُ   كُلُّهـــا أَلسُـــنٌ تقُولُ
كُلّ مـا حولنَـا جميـلُ

أَلْسَّمَا جَمَّلَتْ بِنَا   مـا أَقامَتْهُ حولنَا
كُلُّ مـا حولنَا لنَا

***

نحنُ في العَاشِقِين عيـدُ   حـدَثٌ في الهوى جـديدُ
حبُّنَا لن نُفِيقَ منْهُ   حُلُمٌ مـا له حُـدودُ
نحـنُ مستودع ٱلسَّنَا   كُلّ ما قـامَ حولنَا
جَمَّلَتْهُ ٱلسَّمَا بِنَـا

يا حبيبي ، فمُ ٱلجبَـلْ قبَّـلَ ٱلشَّمْسَ فاشتَعَلْ
قلْبُـهُ من لظَى ٱلقُبَـلْ

***

هـذه ساعـــة ٱلْمَغِيبِ ساعـةُ الحبِّ ، يا حبِيبي
آخرُ النُّـــورِ في الذُّرى أَوَّلُ النُّـور في القُـلوبِ
زَبَدُ الحبِّ في المقَـــلْ ذاب وٱغْرَوْرَقَ العَسَلْ
هـذه ساعـةُ ٱلغَزَلْ

٣

ذلك اليَومُ كَيْفَ كان وصارا   كَان بَرْداً وصار قاراً ونارا
قُلْتِ ، اذ جنَّدَتْ شرائِعَهَا الأَرضُ علينَا ، لن يبْلُغُوا الأَوطارا
فالنَّعِيم الذي خلَقْنَاهُ فينَا   وسقَتْهُ السَّمَاءُ لنْ يتَوارى
إن يكُن جاء من جهنم خطب   فلِكَي يَخْبُرَ الهوى الجبَّارا
يا حبِيبي ، سيَملأُ الحبُّ سجْني   فلْيَشيدوا الحصُون والأَسوارا
وسأَبنِيكَ فيهِ جسْماً وروحاً   وحَنَاناً وعفَّةً ووقارا

أَبِوَسْعِ السُّجُونِ أَنْ تَحْرُمَ القَلْبَ رؤاهُ وتحْجُبَ التَّذْكارا ؟
سأُنادي في عُزْلتي كُلَّ غيْمٍ كُلَّ عطْرٍ سرى وطيْرٍ طارا
خَبّري الأَرضَ يا عُطُورُ ويا غيْمُ ويا طَيْرُ ، وٱنشُري الأَسرارا
خبّريهَا أَني أُحبّ حبِيبي خبّريهَا اني أُحبُ جهَارا
خبّري الأَرضَ ، خبّريهَا وقولي إِنَّ كُوخاً أَشدُّ منْهَا جدارا
إِنَّ بيتاً على الجمَالِ بنَيْنَاهُ لتَأْبى ٱلسَّمَاءُ أَن ينْهَارا
يا حبِيبي ، كَمَا حييتُ سأَحيا إِنَّ بي من نعِيمِكَ ٱسْتمْرارا

وعلى كُلِّ شَفْرَةٍ من جُفُوني   منْكَ عِرْقٌ يُحرِّقُ الأَبصَارا
كُلَّمَا غرّقَ الظَلامُ عيوني   أطلَعَ الحبّ في دمي أَنوارا

٣٠٠ ق.ل.